

## إِنَّ اللَّهَ لَيَفْرَحُ وَيَتَبَشَّبُشُ (الْفَرَحُ وَالْبَشْبَشَةُ) ٧٨

### ما الذي يُفرحُ الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يفرح متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، وقال الشيخ محمد خليل الهَرَّاس عند شرحه للحديث [قوله صلى الله عليه وسلم: لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته. {متفق عليه}]: "وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عزَّ وجلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات؛ أنه صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده

٧٨ نؤمن بأنه سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يفرح؛ كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة فرحه جلَّ وعلا، إذ الله عزَّ وجلَّ استأثر بصفة فرحه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، مصدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا ما استأثر الله بعلمه، وأهل الحق يصفون الله عزَّ وجلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ عزَّ وجلَّ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ، مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ؛ وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ؛ **وفرَّح الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ لا يشبه فرح أحد من خلقه، كما هو الأصل العام المقطوع به، المجمع عليه، في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإن ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيه الله بخلقه.**

[الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢؛ بتصرف]؛ انظر: [الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢].

وممن أثبت صفة (الفرح) من السلف: الدارمي، وابن قتيبة، وأبو يعلى الفراء.

التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته" <sup>٧٩</sup>، [وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشر وبطر؛ فالله عز وجل مُنَزَّه عن ذلك كله، وفرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته؛ فسببه كالرحمة وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين]؛ وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفى وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجه سوء ظن هؤلاء المعطلة برههم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم <sup>٨٠</sup>.

قال ابن قتيبة: "قوله: يتبشش، هو من البشاشة، وهو (يتفعل)" <sup>٨١</sup>، قال أبو يعلى الفراء تعقيباً على كلام ابن قتيبة: "فحمل الخبر على ظاهره، ولم يتأوله" <sup>٨٢</sup>، وقال قبل ذلك بعد أن تكلم عن إثبات صفة الفرح لله تعالى: "... وكذلك القول في البشاشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحاً، ويقولون: فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ البشاشة جاء أيضاً أنه يتبشش للداخل إلى المسجد؛ كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم، وجاء في الكتاب والسنة ما يلائم ذلك ويناسبه شيء كثير فيقال لمن نفى ذلك: لم نفيت؟ ولم نفيت هذا المعنى؛ وهو وصف كمال لا نقص فيه؟ ومن يتصف به أكمل ممن لا يتصف به؟ وإنما النقص فيه أن يحتاج فيه إلى غيره، والله تعالى لا يحتاج إلى أحد في شيء، بل هو فعال لما يريد" <sup>٨٣</sup>.

٧٩ شرح العقيدة الواسطية؛ محمد بن خليل حسن هراس: ج ١ ص ١٩٩.

٨٠ شرح العقيدة الواسطية؛ محمد بن خليل حسن هراس: ج ١ ص ١٩٩.

٨١ ((غريب الحديث)) (١/١٦٠).

٨٢ ((إبطال التأويلات)) (١/٢٤٣).

٨٣ ((النبوات)) (ص ١٦٣).

وقد وردت أدلة من السنة الصحيحة تدل على بعض المواطن التي يفرح الله عز وجل فيها وَيَتَبَشَّشُ، ومن ذلك:

# ١. الْمُوطِنُ الْأَوَّلُ: "اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ

**إِلَيْهِ:** ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَارْجِعْ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ." <sup>٨٤</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: "لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَنَامَ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ." وفي رواية: بهذا الإسناد، وَقَالَ: مِنْ رَجُلٍ بِدَاوِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ. وفي رواية: لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ <sup>٨٥</sup>، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ

٨٤ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٣٠٨؛ [أورده في صحيحه وذكر له متابعة وعلق عليه]؛ «لِلَّهِ» بلام التوكيد «أَفْرَحُ» بصيغة التفضيل «بتوبة العبد» من مَعْصِيَتِهِ «مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا»، أي: مكانًا «وبه مهلكة»، أي: مَظَنَّةُ الْهَلَاكِ، وفي رواية: «بِدَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ»، والدَّوِّيَّةُ: هي الْأَرْضُ الْقَفْرُ وَالْقَلَاءُ الْخَالِيَّةُ، أي: الْبَرِّيَّةُ وَالصَّخْرَاءُ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، «ومعه راحلته»، أي: ما يَرْكَبُهُ مِنَ الدَّوَابِّ «عليها طعامه وشربه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهب راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله» من أنواع البلاء الأخرى «قال» لنفسه بعد محاولة البحث عن الراحة: «أرجع إلى مكاني» يعني: الَّذِي نَامَ فِيهِ؛ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ «فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده»، وفي رواية: «فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا»، أي: مِنْ فَرَحِ هَذَا الرَّجُلِ «بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»، وفي رواية أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ».

٨٥ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٤.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ"<sup>٨٦</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاِحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ آيَسَ مِنْ رَاِحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ . أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"<sup>٨٧</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ: "لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ"<sup>٨٨</sup>، وَخَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، فَقَالَ: لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَتَزَلَّ، فَقَالَ: تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرْفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ"<sup>٨٩</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ

٨٦ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٣٠٩. ففي الحديثين: إثباتُ صفةِ الفرحِ لله عزَّ وجلَّ، على ما يليقُ بجلاله وجلاله؛ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

٨٧ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٧.

٨٨ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٧ - ٨.

٨٩ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٥.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَضْرِبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا لِشِدَّةِ فَرَحِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ بِرَجُلٍ كَانَ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، أَيْ: الْبَرِّيَّةِ وَالصَّحْرَاءِ الَّتِي لَا نَبَاتَ بِهَا، فَلَيْسَ حَوْلَهُ أَحَدٌ، لَا مَاءَ وَلَا طَعَامَ وَلَا أَنْاسَ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، أَيْ: وَقْتُ الْقِيلُولَةِ، وَالْقِيلُولَةُ هِيَ الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفَ النَّهَارِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا نَوْمٌ، فَتَزَلَّ فَقَالَ، أَيْ: اسْتَرَاخَ وَقْتُ الْقِيلُولَةِ تَحْتَ شَجَرَةٍ. فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، أَيْ: نَامَ. وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، أَيْ: ذَهَبَ فِي خُفْيَةٍ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرْفًا، وَالشَّرْفُ: الْمَكَانُ الْعَالِي، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَطْلُبُ بَعِيرَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، قَدْ يَيْئَسَ مِنْ بَعِيرِهِ، وَمِنْ

اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإن أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهزول" <sup>٩٠</sup>، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها حتى شق عليه، ثم مرّت بجذل شجرة فتعلّق زمامها، فوجد لها متعلقة

حياته؛ لأن طعامه وشرابه على بعيره، فبينما هو كذلك إذ جاءه بعيره يمشي، حتى وضع خطامه في يده، يعني: أن البعير جاء من نفسه حتى وضع الخطام في يد صاحبه، والخطام هو ما يوضع على خطم الجمل، أي: على أنفه ليقاد به، ففرح الرجل فرحًا عظيمًا؛ فقد فرح بالحياة بعد الموت؛ ولهذا أخذ بالخطام فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)، أراد أن يثني على الله فيقول: (اللهم أنت ربي وأنا عبدك)، لكن من شدة فرجه أخطأ.

٩٠ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٨١٣٨؛ أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) باختلاف يسير.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «والله»، أي: يقسم بالله عز وجل، «لله أفرح بتوبة عبده»، أي: إن الله يفرح برجوع العبد المذنب إليه تائبًا نادمًا على ذنبه أشد من فرح «أحدكم يجد ضالته بالفلاة»، والفلاة: الصحراء، والمعنى: أنه يجد ناقته بعد فقدها وعليها متاعه وطعامه وشرابه وتيقن من الهلاك؛ فكيف يكون فرحه إذا رجعت إليه ناقته؟! «ومن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا»، أي: من تقرب إلى الله بقدر شبر تقرب الله إليه بأكثر وأفضل منه، فيتقرب منه بقدر الذراع، وهكذا «ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا»، والباع: مدّ اليدين والذراعين بما في ذلك عرض الصدر، «وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهزول»، أي: وإن أتى العبد يمشي إلى الله في طريق الهداية والرشاد، فإن الله عز وجل يقبل إليه ويهرول. والفرح والتقرب والهزول كل ذلك حق على ما يليق بذات الله عز وجل، ليس لها مشابهة بصفات البشر؛ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح: الأخذ بظاهر أمثال هذا الحديث، مع إمرارها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف؛ فليس تقربه إلى عبده مثل تقرب المخلوقين إلى غيره، وليس مشيه كمشيهم، ولا هروله كهرولتهم، بل هو أمر يليق بالله سبحانه كسائر الصفات؛ فالصفات كالذات ويجب إثباتها له سبحانه مع الإيمان والاعتقاد بأنها أكمل الصفات وأعلاها، وأنها لا تشابه صفات الخلق كما قال عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

به؟ قلنا: شديداً، يا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ" <sup>٩١</sup>، وهذه الأحاديث تبين كمال رحمة الله جل وعلا ورأفته بعباده؛ حيث يحب رجوع العاصي إليه هذه المحبة العظيمة، هارب من الله، ثم وقف ورجع إلى الله، يفرح الله به هذا الفرح العظيم، "وهذا أمر عظيم إلى الغاية، فإذا كانت التوبة بهذه المنزلة، كيف لا يكون صاحبها معظماً عند الله؟! " <sup>٩٢</sup>، ويفيدنا أن نحصر على التوبة غاية الحرص، كلما فعلنا ذنباً؛ تبنا إلى الله، فأنت إذا علمت أن الله يفرح بتوبتك هذا الفرح الذي لا نظير له؛ لا شك أنك سوف تحرص غاية الحرص على التوبة <sup>٩٣</sup>.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: "اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ يَتَبَشَّشُ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ يَتَوَطَّنُ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ": ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى

٩١ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٤٦.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّائِبِينَ وَيَدْعُو عَبْدَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهَا؛ وفي هذا الحديث يُعَلِّمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ؛ فيقول: كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، أَي: فُكَّ رِبَاطُ نَاقَتِهِ، فَذَهَبَتْ تَجُرُّ زِمَامَهَا، أَي: مَقْوَدَهَا وَهُوَ مَا تُقَادُّ بِهِ الْبَعِيرُ، بِأَرْضٍ قَفْرٍ، قَدْ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَى هَذِهِ الرَّاحِلَةِ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَطَلَبَهَا، أَي: بَحَثَ عَنْهَا فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ كَثْرَةُ الْبَحْثِ عَنْهَا وَأَجْهَدَهُ ذَلِكَ؛ خَاصَّةً أَنَّهُ لَا طَعَامَ مَعَهُ وَلَا شَرَابَ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْبَحْثِ عَنْهَا، ثُمَّ مَرَّتْ رَاحِلَتُهُ بِجَذَلِ شَجَرَةٍ، أَي: أَصْلِهَا الْقَائِمِ، فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا بِهَذَا الْجَذَلِ، فَوَجَدَهَا صَاحِبُهَا وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ، كَيْفَ تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: شَدِيدًا، أَي: يَفْرَحُ فَرَحًا شَدِيدًا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ.

وفي الحديث: فَضَّلُ التَّوْبَةَ وَأَنَّ اللَّهَ يَرْضَاهَا مِنَ الْعَبْدِ وَيُحِبُّهَا وَيَفْرَحُ لَهَا. وفيه: سَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وفيه: إِبْتِاثُ صِفَةِ الْفَرَحِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ.

٩٢ شرح حديث أبي بكر ص: ٥٣، لشيخ الإسلام رحمه الله.

٩٣ شرح العقيدة الواسطية؛ ص: ٤٥.

الله عليه وسلم قال: "ما توطَّن رجلٌ مسلمٌ المساجدَ للصَّلَاةِ والذِّكْرِ إِلَّا تَبَشَّبَشَ اللهُ لَهُ كما يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ"<sup>٩٤</sup>، وفي رواية: "لا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضوءَهُ فَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا تَبَشَّبَشَ اللهُ إِلَيْهِ، كما يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ"<sup>٩٥</sup>، وفي رواية: "لا يوطَّن الرجلُ المسجدَ

٩٤ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٦٥٩؛ أخرجه ابن ماجه (٨٠٠) واللفظ له، وأحمد (٨٣٥٠).

المَسَاجِدُ بُيُوتُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، وَفِيهَا تُقَامُ الصَّلَوَاتُ وَالْجُمُعَاتُ، وَلِلْمَكُوثِ فِيهَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِبَعْضِ فَضَائِلِ عُمَارِ الْمَسَاجِدِ، وَكَرَمِ اللهِ لَهُمْ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسْجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ»، أَي: اعْتَادَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَجَعَلَ الْمَسْجِدَ كَالوَطَنِ لَهُ يَأْلُفُهُ وَيَقِيمُ بِهِ وَيُرْتَاحُ إِلَيْهِ، «إِلَّا تَبَشَّبَشَ اللهُ لَهُ مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ»، أَي: فَرَحَ بِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَتَلَقَّاهُ بِرَّهْ وَإِكْرَامِهِ، وَالبَشْبَشَةُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْنَاهُ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْفَرَحِ، وَهُوَ وَضْفٌ كَالِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَالتَّبَشَّبَشُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَشْمَلُ فِي مَعْنَاهُ: إِظْهَارَ الْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ لِلْعَبْدِ، وَتَلَقِّيَهُ بِرَّهْ وَتَقْرِيبِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَيُؤَفِّقُهُ لِلطَّاعَةِ، وَيَغْمُرُهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا كَسَائِرُ مَا وَصَفَ اللهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- بِهِ مِنْ أَوْصَافِ ذَاتِهِ وَفَعْلِهِ مِمَّا يَقَعُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؛ فَيَكُونُ لَهُ مِنْهُ مَعْنَاهُ الَّذِي يَصِحُّ فِي وَضْفِهِ وَيَلِيقُ بِحُكْمِهِ دُونَ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، «كَما يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ»، وَالتَّبَشَّبَشُ بِالْإِنْسَانِ: الْمَسَرَّةُ بِهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى الْبَشَاشَةِ لَا مِنْ لَفْظِهَا، وَهَذَا مِنَ التَّرغِيبِ فِي إِيْتَانِ الْمَسَاجِدِ، وَمَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى الطَّاعَةِ فَهُوَ مُرَابِطٌ لَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، مُخَالَفٌ لَهَاوَاهَا، وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَالْجِهَادِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ حَرِيًّا بِهَذَا الْفَضْلِ.

وفي الحديث: تبشِيرُ مُعْتَادِ الْمَسَاجِدِ وَمُسْتَوِطِنِهَا لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ.

٩٥ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٠٣.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَدُلَّ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَوَضَّأُ»، أَي: إِذَا تَوَضَّأَ، «أَحْدَمُ فَيُحْسِنُ وُضوءَهُ، وَيُسْبِغُهُ»، أَي: يَأْتِي بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ مِنْ سُنَنِ وَأَدَابٍ، وَيُعْطِي كُلَّ غُضُوٍّ حَقَّهُ مِنَ الْمَاءِ، «ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ»، أَي: يَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ بِهَذَا الْوُضوءِ لَا يَقْصِدُ مِنْ خُرُوجِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ، «إِلَّا تَبَشَّبَشَ اللهُ إِلَيْهِ»، أَي: فَرَحَ بِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَتَلَقَّاهُ بِرَّهْ وَإِكْرَامِهِ، وَالبَشْبَشَةُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْنَاهَا قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْفَرَحِ، وَهُوَ وَضْفٌ كَالِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَالتَّبَشَّبَشُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَشْمَلُ فِي مَعْنَاهُ: إِظْهَارَ الْأَفْعَالِ

لِلصَّلَاةِ أَوْ لَذِكْرِ اللَّهِ؛ إِلَّا تَبَشَّبَشَ اللَّهُ بِهِ، كَمَا يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ غَائِبُهُمْ" <sup>٩٦</sup>، وفي رواية: "ما من رجلٍ كان توطَّنَ المساجدَ، فشغله أمرٌ أو عِلَّةٌ ثم عاد إلى ما كان إلا يَتَبَشَّبَشُ اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا أَقْدَمَ" <sup>٩٧</sup>.

الْمُرْضِيَّةُ لِلْعَبْدِ، وَتَلْقِيهِ بِرِّهِ، وَتَقْرِيْبِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَأَنْ يُوقِّعَهُ لِلطَّاعَةِ، وَيَعْمُرَهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا كَسَائِرُ مَا وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِهِ مِنْ أَوْصَافِ ذَاتِهِ وَفِعْلِهِ؛ مِمَّا يَقَعُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؛ فَيَكُونُ لَهُ مِنْهُ مَعْنَاهُ الَّذِي يَصِحُّ فِي وَصْفِهِ وَيَلِيْقُ بِحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ بِالْمَخْلُوقِينَ، «كَمَا يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطُلْعَتِهِ»، أَي: بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ، وَالتَّبَشَّبَشُ بِالْإِنْسَانِ: الْمَسْرَّةُ بِهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى الْبَشَاشَةِ لَا مِنْ لَفْظِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحُثُّ عَلَى إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهِ، وَفِيهِ: الْحُثُّ عَلَى خُرُوجِ الْمُسْلِمِ لِلْمَسْجِدِ مُتَوَضِّئًا.

٩٦ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح صحيح الموارد ٢٦٦.

٩٧ حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٣٢٧.

الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَفِيهَا تُقَامُ الصَّلَوَاتُ وَالْجُمَاعَاتُ، وَالتَّعَلُّقُ بِهَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِبَعْضِ فَضَائِلِ عُمَارِ الْمَسَاجِدِ، وَكَرَّمَ اللَّهُ لَهُمْ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ كَانَ تَوَطَّنَ الْمَسَاجِدَ»، أَي: اعْتَادَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَجَعَلَ الْمَسْجِدَ كَالوَطَنِ لَهُ؛ يَأْلَفُهُ، وَيُقِيمُ بِهِ، وَيَرْتَاخُ إِلَيْهِ، «فَشَغَلَهُ أَمْرٌ أَوْ عِلَّةٌ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ، إِلَّا يَتَبَشَّبَشُ اللَّهُ إِلَيْهِ»، أَي: يَفْرَحُ بِهِ وَيُقْبِلُ عَلَيْهِ وَيَتَلَقَّاهُ بِرِّهِ وَإِكْرَامِهِ، وَالتَّبَشَّبَشَةُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْنَاهَا قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْفَرَحِ، وَهُوَ وَصْفٌ كَالِ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَالتَّبَشَّبَشُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَشْمَلُ فِي مَعْنَاهُ: إِظْهَارَ الْأَفْعَالِ الْمُرْضِيَّةِ لِلْعَبْدِ، وَتَلْقِيهِ بِرِّهِ وَتَقْرِيْبِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَتَوْفِيقِهِ لِلطَّاعَةِ، وَغَشْيَانِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذَا كَسَائِرُ مَا وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِهِ مِنْ أَوْصَافِ ذَاتِهِ وَفِعْلِهِ مِمَّا يَقَعُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؛ فَيَكُونُ لَهُ مِنْهُ مَعْنَاهُ الَّذِي يَصِحُّ فِي وَصْفِهِ وَيَلِيْقُ بِذَاتِهِ دُونَ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، «كَمَا يَتَبَشَّبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ»، أَي: يَفْرَحُونَ بِرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ، وَالتَّبَشَّبَشُ بِالْإِنْسَانِ: الْمَسْرَّةُ بِهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنَ التَّرْغِيبِ فِي إِيْتَانِ الْمَسَاجِدِ، وَمَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى الطَّاعَةِ فَهُوَ مُرَابِطٌ لَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مُخَالِفٌ لِهَوَاهَا، وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَالْجِهَادِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ حَرِيًّا بِهَذَا الْفَضْلِ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ عُمَارَ الْمَسَاجِدِ فِي قَوْلِهِ: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيُجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور: ٣٦ - ٣٨].

وفي الحديث: تَبَشِيرٌ عَظِيمٌ لِمُعْتَادِ الْمَسَاجِدِ وَمُسْتَوِطِنِهَا لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ.